نظراتٌ في كتب غريب اللغة

مؤنس أسامة ضياء الدين
جامعة الأنبار
كلية الإدارة والاقتصاد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ قيمة كلِّ كتابٍ في غريب اللّغة تكمن فيه عدّة أمور مِنْ أبرزها:

أولاً: تفرد المؤلف في ابتداعه لفن من الفنون اللغوية وسبب تأليفه لهذا الكتاب إذ لمْ يسبقْه مثل هذا الفنّ أحدٌ بلْ يشار له بالبنان؛لابتكاره مثل هذا الفن اللغوي الجديد فأبو عمر الزاهد(ت٣٤٥هـ) كان له السبق في تأليف وابتكار مثل هذه الفنون اللغوية الطريفة.

ثانياً: الالتزام بالأصول العلمية التي تحلّى بها أصحاب كتب غريب اللغة في حرصهم على نسبة المادة اللغوية إلى أصحابها إذ لم يكونوا سواءً في مدى حرصهم والتزامهم على نسبة المادة اللغوية ؛ فلم يكونوا حريصين كحرص أبي عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ) فقد كان أميناً وحريصاً على الأمانة العلمية التي بين يديه ؛فهو يعزو المادة اللغوية إلى مراجعها الأصلية.

ثالثاً: الفضل في الحفاظ على كتب لغوية عفى عليها الزمن؛ فهذه الكتب اللغوية في غريب اللغة هي بمثابة معجمات لغوية مبتكرة وفنون لغوية مبتدعة وطريفة حفظت كثيراً من المادة اللغوية التي بين أيدينا الآن فأبو عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ) لولا كتابه (العَشرات في غريب اللغة)؛ لضاعت الكثير من الألفاظ اللغوية ،والصّغاني (ت٦٥٠ هـ) لولا كتابه (الشّوارد في اللغة)؛ لضاعتْ كتب قيمة ونادرة فضلاً عن أهمية الكتاب تبرز في تأثر الآخرين فيه وتقليدهم له كما فعل التّميمي (ت ٤١٢ هـ) في كتابه (العشرات في اللغة) متأثّراً بأبي عمر الزاهد،ومقلّداً إيّاه في صنيعه الفريد ونقل الآخرين عنه أو تأثرهم به.

وإنّ كتب غريب اللغة كثيرة،ولكني اقتصرت في بحثي هذا على أربعة كتب من أهمها

وأبرزها:

١- كتاب : (العَشرات في غريب اللغة) : لأبي عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ) .

٢- كتاب :(العَشرات في اللغة) : للتميمي (ت ٤١٢ هـ).

٣- كتاب :(المُسلسل في غريب لغة العرب) : لأبي الطاهر(ت ٥٣٨ هـ).

٤- كتاب :(الشَّوارد في اللغة) : للصغاني (ت٦٥٠ هـ).

أولاً: التفرد:

١- عشرات الزاهد:

تفرّد أبو عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ) بابتداعه مثل هذا الفن من الفنون اللغوية ((وقد ألف الزّاهد عشراته ابتداعاً ، إذ لم يسبقه إلى ذلك الفن أحدٌ ، و قد سلك فيها مسلكاً رأينا كثيرين ممن بعده ينتهجونه ، نذكر منهم الفارابي (ت٣٥٠هـ) في ديوان الأدب وأبا عثمان السرقسطي (ت بعد ٤٠٠هـ) في كتاب الأفعال ، ليس بدقة تامّة،ولكنْ إلى حدٍّ كبير)).(١)

وسبب تأليف أبي عمر الزاهد لكتابه (العشرات في غريب اللغة) يتضح في خطبة تلميذه ابن خالويه (ت٣٧٠ هـ) راوية كتاب العشرات إذ قال :((قال أبو عبد الله: هذا كتاب العشرات لأبي عمر الزاهد ، ألّفها للحصري صاحب أبي عمر القاضي خاصّة،وكان أبو عمر يعارض بكتبه ويؤلّف له، فاعتلّ أبو عمر ، فأرسل إليه أنْ أنفذ إليّ أجرة شهرٍ؛ فإني عليلٌ. فقال لرسوله: أجعْ كلبك يتبعْك .فقال أبو عمر: ارجعْ إليه، وقلْ له:أكرمتني فأتعبتني ،وأهنتني فأرحتني ، واللهِ لأجعلنّ العشراتِ عليه حسراتٍ؛ فأخرجها للناس فكانتْ كذلك)).(٢)

٢- عشرات التميمي:

أمّا التميمي (ت ٤١٢ هـ) فقد نقل عنه عشرةً من عشراته وذكرها بقوله:

((هذه عشرة أبي عمر)) وتقوم عشرات التميمي على عشرةٍ لأبي عمر هي:المَثْعُ: مشيةٌ قبيحة ، والوَدْعُ :المقبرة ،و المَنْعُ: السّرطانُ ، والسّفْعُ: الأخذُ ،والكَبْعُ: النّقدُ ، والقَلْعُ :الكنفُ ،والمَتْعُ:الطول ، والسّلْعُ:الشّقُ ، والقَنْعُ :أنْ يطأطئَ الرّجلُ رأسَهُ، والوَقْعُ :الطّريقُ في الجَبلِ)).(٣)

وقد قال التميمي في خطبته بأنّه يرغبُ أنْ يؤلّف كتاباً ككتابِ أبي عمر الزاهد ويرجو أنْ يقع في التّأليف بموافقته إذ قال:((وقدِ اتصل بي ما ذكره- يعنى أبا عبد الله محمد بن أبي العرب الكاتب- من كتاب العشرات لأبي عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ، فرغبت في ما مال إليه ، ورغبة أن أؤلف كتاباً في معناه ، وأودي به بعض ما يلزمني منْ حقّه ، راجياً أنْ يقع في التّأليف بموافقته)).(٤)

ولم يكتفِ التّميمي بذلك فقد استعرض أبو عبد الله عضلاتِهِ على أبي عمر بل تطاول عليه وذلك إذ قال:((وخشينا أنْ يتوهم علينا تقصير في ما ضمناه من المئات في ما أتى به أبو عمر من العشرات ، فقدمنا أمام ما قصدناه باباً ندلّ به على القدرة على ما ضمناه وجعلناه مبوباً على باب من كتاب أبي عمر موجود ليعلم قدر الزيادة عليه)).(٥)

وقد اتّبع التّميمي عشرة أبي عمر السابقة بما يربو عن مئة وستين كلمة من جنسها ، فهي تشبهها في ما تشابهت فيه من وزن ومبنى وحرف أخير ، إذ هي جميعاً :(كالمَنْعِ) على وزن(فَعْلٍ) ومبناه ، منتهية بحرف العين ، ولكنّها ليستْ جميعاً من الغريب ، وإذ منها ما هو لغة في غيره كالضُّبْعِ لغة في الضَّبْعِ والسُّبْعِ لغة في السَّبْعِ(٦).

لكنِ التميمي لمْ يستمر على معارضته بمنهج أبي عمر نفسهِ بلْ خرج عنه ثمّ أنّ عبد الله لمْ يوالِ كتابه على هذا النّحو ، فخرج عنه إلى ما يشبه المعجم،واستعرض معاني تلك المفردات المختلفة واستشهد لكثيرٍ منها بالقران والحديث والشعر والأمثال ، حتّى كأنّه انتقل إلى نوعٍ من العشرات مختلفٍ ، عشراتٍ يكون العدد فيها للمعاني التّي ينصرف إليها اللفظ الواحد ، وليس للألفاظ.(٧)

وكثير من المفردات التي أوردها زيادة على عشرة أبي عمر هي من المألوف الشائع وليستْ من الغريب النّادر وكما أنّ كثيراً منها هو لغة في غيره فضلاً عن عددٍ غيرِ قليلٍ منها يُحمل على المجاز.(٨)

ويتّضح الغرض من تصنيف أبي عبد الله لكتابهِ هذا ، بقوله:((فرأيتُ أبا عمر قد أخذ في باب العلم متسعاً وسلك طريقاً من التأليف غير ممتنعة ، يجد المؤلف فيه من العشرات ولستُ أقصد به وجود ما ذكرنا من المئات ما صنفه من العشرات ، غير أنّا لا ندري ما السبب المانع من تكثيره ، أو ما العائق القاصر على يسيره ؛ فأردنا أنْ نأتي في أبوابه ، وعلى حدٍ ما رسم في كتاب من المئات بأضعاف ما جاء من العشرات ، ثمّ علمنا مع ذلك أنّا لو تكلّفناه وجئنا به على ما ذكرناه ، لمَا كانَ غريباً في التأليف ، ولا مستطرفاً من التّصنيف)).(٩)(١٠)

٣- مسلسل أبي الطاهر:

أمّا أبو الطاهر(ت ٥٣٨ هـ) فهو أيضاً كالتّميمي اقتفى آثار أبي عمر الزاهد ،ولكنّه لم يقتفِ عشراتِ الزّاهد، وإنّما اقتفى مُداخل الزاهد ، و(المُداخل) أوّل الفنون اللغوية تأليفاً وهو في غريب اللغة .

ويتضح سبب تأليف أبي الطاهر لكتابه (المُسَلْسل في غريب لُغة العرب) في خطبته إذ يقول:((وأنّه كان فيما سمع عليّ كتاب (المُداخل في اللغة) لأبي عمر المطرز- رحمه الله - فا ستنزرته ؛ لقدره ، ولم أحظَ بهلاله فيه ولا ببدره؛فرأيت أنّه رأيٌ لم يستوفِ تمامه وغرضٌ لم تقرطسْه سهامُهُ ، ولعلّه إنّما ارتجله ارتجالاً وجرتْ ركائبُهُ فيه عجالاً).(١١)

لكنّه قال مقرّاً بفضل السّابق وهو أبو عمر الزاهد إذ قال في الخطبة نفسِها:((وعلى ذلك فما اعتمدت مجاراةً ولا قصدت مباراةً وأنّي لأرى فضل السّابق وأنجع نجوع الآبق)).(١٢)

((وسيرى القارئُ الفاحصُ في مقدمة المُسلسل ما صرّح به التّميمي؛من أنّه ما سمع عليه كتاب(المُداخل) استنزره؛ فوضع كتابه هذا؛ ولذلك أفرغ فيه جهده ، وكدّس فيه من الألفاظ والشواهد ما ينمّ عن تحدي المطرز ، وأنْ كشف عن مقدرةٍ لغويةٍ وأدبيةٍ))(١٣)

وأبو الطاهر لم يفعلْ كما فعل أبو عمر الزاهد إذ قال في مقدمته:((واقتضبت في ذلك خمسين باباً ، افتتحت كلّ بابٍ منها بشعر عربي ، ثُمّ ختمتُ البابَ بمثل ذلك وأوردتُ ما أمكنَ من الشاهد على ألفاظه هنالك)).(١٤)

((وكتاب المُسلسل يحتوي خمسين باباً ، ليس لها عنواناتٌ خاصة كما فعل المطرّز في كتابه(المُداخل) وإنّما عنونَها بعدد الأبواب وقد تعمّد التميمي (أبو الطاهر) أنْ يفتتح كلّ بابٍ ويختتمه بشاهدٍ شعري)).(١٥)

٤- شوارد الصغاني:

أمّا الصغاني (ت٦٥٠ هـ) في شوارده ((فقد انتقى كتاب الشوارد من كلام بعض علماء القراءات واللغة. قال السيوطي (ت٩١١هـ) فيه:((ألف الصغاني كتاباً لطيفاً في شوارد اللغة ، ومن عبارات العلماء المستعملة في ذلك النّادرة وهي بمعنى الشوارد)).لقد جمع الصغاني بتأليفه لكتابه هذا ما جاءَ شاذاً و نادرًا ؛إذ بذلَ في تأليفه واختيار شواذه و شوارده مجهوداً ليس بالهين يدلّنا على صبره وجهده ومتابعته ما ذكره فقال في كلامه على (جَرأش) :((اجْرَأشّتِ الإبلُ: سَمِنَتْ وامتلأتْ بطونُها فهي مُجْرَأشّةُ (بفتح الهمزة) وإنّما أدْخَلَ هذه اللفظة في الشّوارد؛ انفتاحُ همزة مُجْرَأشّة لا متنها)).قال ابن خالويه (ت٣٧٠ هـ): وجدتُ هذه اللفظة بعد سبعين سنة .قال الصّغاني (ت٦٥٠ هـ) مؤلّف هذا الكتاب : وأنا وجدتُ هذه اللفظة بعد سبعين سنة)).(١٦)

((وهذا غاية في المبالغة إلا أنّه ذكر ذلك؛ ليدلّل على جده وحرصه ومواصلته للبحث على اللغات النّادرة والشّاذة وتفحصه إيّاها منذ مدةٍ طويلةٍ من الزمن)) .(١٧)

ثانياً:الالتزام بالأصول العلمية:

١- عَشرات الزاهد:

كان أبو عمر الزاهد(ت٣٤٥هـ) في عشراته أميناً وحريصاً على نسبة الأخبار والمادة اللغوية إلى أصحابها.((وقد ردّ أبو عمر أبواب كتابه إلى الأئمة الذين أخذ عنهم وما من باب إلاّ تقدمته عبارة:(أبو عمر عن ثعلب عن...)، وكان ثعلب يعنعن شيوخه)).(١٨)

((إنّ صنيع أبي عمر هذا ، أي:(ردّ الخبر إلى ثعلب مسنداً لشيوخه) ما يوضح أمانة الرجل وحرصه على التوثيق ويدحض قول الذين كانوا يكذبونه ويطعنون في روايته)).(١٩)

لكنِ الذي يؤخذ على أبي عمر الزاهد هو قلّة استشهاده بالآيات القرآنية.أمّا القراءات القرآنية فلمْ يكن في كتابه أيْ: استشهاد بها سوى استشهاد واحد لابن خالويه،وكذلك بالنسبة إلى الاستشهاد بالحديث فقد كان قليلاً.

أمّا بالنسبة إلى استشهاده بالشعر فالذي يؤخذ عليه أنّه كان يستشهد بأنصاف الأبيات الشّعرية وكذلك الأرجاز ؛ فهولا ينسب الأبيات الشعرية إلى قائلها فقد اكتفى بذكر النّاشد ؛ولا يجوز الاستشهاد ببيتٍ مجهول القائل .

وهناك إضافاتٌ وزياداتٌ كثيرةٌ من تلميذه ابن خالويه (ت٣٧٠ هـ) وهذا حقّ مشروع ،ولكنّه يوقع القارئ في أمورٍ لا تمتّ إلى المادة اللغوية بصلةٍ كما أنْ هناك باباً بأكمله هو من إضافة ابن خالويه وهو:)باب الطّرْبغانة) إذ قال:((أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي عن...)) (٢٠) كما يوجد باب نسبه إلى أبي عمر وهو: (بابُ المَثْعِ) (٢١)،ولكنّه لابن الأعرابي أو لأبي عمرو .

٢- عَشرات التميمي:

أمّا التّميمي (ت ٤١٢ هـ) فلم يكن حريصاً كحرص أبي عمر الزاهد في نسبة النصوص والمادة اللغوية ((وليسَ التميمي كالزاهد من حيثُ نسبة النصوص والمادة اللغوية فهو و أنْ كان أكثرَ شواهد ، إلا أنّه لم يتّبع منهج أبي عمر في نسبة مادته اللغوية إلى رواتها الذين أخذ عنهم أو انتهى علمهم إليه مباشرةً أو عن طريق غير مباشر؛ فلم تخلُ عشرةٌ من عشرات أبي عمر دون ذكر سلسلة الرواية عن ثعلب عن ابن الأعرابي أو أبي زيد أو الأصمعي عن طريق أبي نصر أو أبي عمرو الشيباني عن طريق عمرو ابنه)) .(٢٢)

والّذي يؤخذ عليه أنْ استشهاده بالقراءات القرآنية كانَ قليلاً وأنّه لم يعزُ القراءة التي يذكرها ، وكذلك استشهاده بالحديث قليل ولم ينسب أكثر الأحاديث إذ قال :((ومنه الحديث...)) إذ يحتمل لغير النّبي محمّد (صلّى اللهُ عليه وسلم).

أمّا بالنسبة إلى استشهاده بالأشعار فاستشهاده كثير والذي يؤخذ عليه أيضاً سواءٌ أكان استشهاده بالشعر أمْ بالرجز فإنّه لا ينسب الأبيات الشعرية إلى قائلٍ معين إلاّ في مواضع قليلة فضلاً عن استشهاده بأنصاف الأبيات الشعرية وكذلك الأرجاز. والذي يؤخذ عليه أيضاً عدم التزامه الدقة فيما يقول إذ قال: ((قال أبو عبد الله :قد أتينا في هذا الباب على مئة وسبعين لفظة)).(٢٣) ((غير أنّ عدد هذه الألفاظ مئة وسبع وستون كلمة ، طائفة غير قليلة منها لغات في غيرها)) .(٢٤)

((ومن جانب آخر فإنّ المفرداتِ المئة والسبعين التي جاء بها على منوال العشرة لأبي عمر زيادة عليها هي الأخرى ضرب من التأليف المعجمي)).(٢٥)

أقول: هذا الذي ذكره المحقّق تأييداً منه على عدد الألفاظ التي ذكرها التميمي. وكذلك عدم الدقة في تسمية الكتاب إذ هو لم يلتزم المعارضة ولم يستمر عليها

((إذاً فالرجل إنّما ألف كتابه هذا معارضة لأبي عمر ، ثم تبيّن له من بعد المضي في ذلك وعلى نحو ما فعل في معارضته للعشرة واحدةً واحدةً لنْ يكون فعلاً جميلاً ولا جديراً بأن يكون مستحباً فعدل عنه ومال إلى ضرب من التأليف اللغوي مختلف ،يمكن أنْ نسميه بإيجاز: ألفاظ ذات دلالات مختلفة أو المشترك اللفظي)). (٢٦)

((وبهذا أرى أنّ الكتاب مسمى بالعشرات لما ابتدأ به من معارضة لعشرة أبي عمر،أمّا سائره فإنّه ليس من قبيل ذلك)) .(٢٧)

٣- مسلسل أبي الطاهر:

أمّا أبو الطاهر(ت ٥٣٨ هـ) فهو أيضاً لم ينسب المادة الغوية المسلسلة إلى أصحابها إلا القليل.والذي يؤخذ عليه أيضاً أنّ استشهاده بالقراءات القرآنية جداً قليل وكذلك استشهاده بالحديث جداً قليل.

أمّا بالنسبة إلى استشهاده بالأبيات الشعرية سواءٌ أكان شعراً أمْ رجزًا فقد التزم أنْ ينسب كلّ بيتٍ إلى قائله إلاّ في مواضع قليلة اكتفى بذكر الناشد ،وهذه حسنةٌ من حسناته.والذي يؤخذ عليه استشهاده بأنصاف الأبيات الشعرية وكذلك بالأ رجاز ولكنْ هذا الشّيء قليل الورود.

٤- شوارد الصغاني:

أمّا الصّغاني (ت٦٥٠ هـ) فهو الآخر فلم يكن حريصاً على نسبة المادة اللغوية الشاردة إلى أصحابها في (القسم الأول) من الشوارد.((ولم يذكر الصغاني مصادره التي استقى منها هذه المواد اللغوية والقرآنية .وقد تتبعتُ هذه القراءات الشّاذة فوجدت أكثرها في (مختصر في شواذ القران(لابن خالويه الذي اختصره من كتابه (البديع(ومع هذا فلم أوفق في العثور عليها جميعاً إذ وجدتُ بعضاً منها في المحتسب وتفسير البحر المحيط والقرطبي وغيرها من كتب التفسير،ثم وقفت على قسم منها في كتاب العُباب للصغاني على الرّغم منْ أنّه لم يعدّ من كتب القراءات إلاّ أنّه يحتوي على الكثير منها وخاصّة الشاذة)).(٢٨)

كما أنّ الصّغاني لم يعزُ كلّ قراءةٍ شاذةٍ إلى منْ قرأ بها فهو بهذا قد أخلّ بالمنهج الذي التزمه .((ذكر الصغاني أنّه عزا كلَّ قراءةٍ شاذةٍ إلى منْ قرأ بها وذلك في مقدمة الفصل أقول :هذا يحمل على الغالب ، إذ إنّ قسماً ما من القراءات لم تكن منسوبةً إلى مقرئيها)).(٢٩)

أمّا بالنسبة إلى (القسم الثاني) من الشوارد فلم يكن الصّغاني حريصاً على نسبة المادة اللغوية ((أمّا مصادره فمبهمة ولم يذكر من أين أخذ يونس(ت١٦٠هـ) هذه المادة اللغوية؟ وأنّ ما ذكره من أسماء عدد من القبائل مثل: تميم وأهل العالية وأهل نجد وهذيل وبني يربوع لا يكفي إلى التدليل على مراجعة مصادره!)).(٣٠)

أمّا في (القسم الثالث) فكذلك مصادره مبهمة في هذا الكتاب وغير معروفة شأنه بهذا شأن (كتاب اللغات) ليونس بن حبيب(ت١٦٠هـ).(٣١)

أمّا بالنسبة إلى (القسم الرابع) فقد نسب الصغاني كتباً مفقودةً إلى أصحابها وكتباً لم يصرّح باسمها سوى بأصحابها .

والذي يؤخذ عليه أيضاً أنّه لم يستشهد بالآيات القرآنية سوى بآيةٍ واحدةٍ في سورة الشّعراء بقوله :((يقال: كثرت مال فلان ، يؤنثون المال كما أنّثوا القومَ . قال الله تعالى:كذبتْ قوم نوح المرسلين)).

وكذلك اعتماده على قراءات أشخاص لم يشتهروا بأنّهم مقرئون وإنّما هم شعراء((اعتمد الصّغاني على قراءات أشخاص لم يشتهروا بأنّهم مقرئون وإنّما هم شعراء فممن استشهد

بقراءاتهم : رؤبة بن العجاج وأبو حية النميري الذي استشهد به الصغاني و من سبقه كابن خالويه وغيرهما ،ويظهر أنّ الصّغاني ، وابن خالويه ، وابن جني ، وغيرهم استشهدوا بقراءة أبي حية النميري ورؤبة لا لكونهم مقرئين وإنّما لكونهم عرباً يحتجّ بكلامهم في اللغة ويستشهد بشعرهم أيضاً فهم إسلاميون)) .(٣٢)أمّا بالنسبة إلى استشهاده بالحديث النبوي الشريف فلا وجودَ له أبداً.

أمّا بالنسبة إلى استشهاده بالأبيات الشعرية فقد نسب قسماً وأهمل قسماً آخر ،وكذلك يؤخذ عليه استشهاده بنصف بيت من الرجز،وهذا عنده جداً قليل ،وكذلك استشهاده بالأمثال جداً قليل .

ثالثاً: أهمية الكتاب ونقل الآخرين عنه أو تأثرهم به :

١- عشرات الزاهد:

إنّ أهمية كتاب العشرات لأبي عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ) تبرز في كون الكتاب معجم في غريب اللغة وقد خلتِ المعجمات المختلفة من بعض المفردات الغريبة إذ حفِظ لنا كثيراً من المفردات اللغوية الغريبة التي طمستْ معالمها لولا كتابه هذا ((غير أنّ الملاحظ في الأبواب كافةً هو أنّ مفرداتِه لمعانيها هي من غريب اللغة ، ولذلك فلا عجبَ أنْ خلتِ المعجماتُ المختلفة من بعضها ويتضح اختصاص الكتاب في الغريب أنّ ابن خالويه سألَ أبا عمر عن (الخِيفانةِ) بمعنى الجَرادةِ فقال له أبو عمر:((ليس هذا غريباً)).(٣٣) ((وما كتاب العشرات بكتاب يبحث في ألفاظ مألوفة لمعانيها بلْ هو كتاب في غريب اللغة ولعمري إنّ أبا عبد الله التميمي لم يصبْ عندما تطاول على أبي عمر؛ فجاء بمئات ممّا جاء بها أبو عمر من العشرات)).(٣٤)

وقد تأثر منْ تأثر به وسلك مسلكه ((وقد اجتهد أبو عمر في جمع الغريب لمعناه وكتابه متجانس مطّرد راعى في عشراته أنْ تتفق في المبنى والحرف الأخير والوزن وقد تتفق في مقطع من حرفين أو أكثر وفي صفة أو أكثر)) .(٣٥)

((كما أفاد من كتاب العشرات كثيرون نذكر منهم ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) في (معجم

البلدان) وأبا عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني في كتابه (العشرات في اللغة) وسليمان بن بنين الدقيقي كل ذلك بتصريح منهم في كتبهم هذا إلى جانب أولئك الذين أفادوا منه ولم يصرحوا بذلك أو صرّحوا ولكن دليلاً على ذلك لم يعد قائماً)).(٣٦)((وقد نقل ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) في معجم البلدان من كتاب العشرات في غريب اللغة بضع مرّاتٍ منها ما صرّح فيه بالنقل بقوله:((وقرأتُ في كتاب العشرات لأبي عمر الزاهد ...)) وقد أشرنا إلى ذلك في موضعه ومن ذلك ما يصرّح بنقله وانْ كان ممّا ورد في كتاب العشرات)).(٣٧)

٢- عشرات التميمي:

أمّا عن أهمية كتاب العشرات للتميمي (ت ٤١٢ هـ) وعن القيمة اللغوية لهذا الكتاب فهو معجمٌ لغويٌ مختزلٌ اختزالاً شديداً ، ليس في تقاليب المادة الواحدة وذكر معانيها وشواهدها ،ولكنْ في مواده المفسرة إذ اختارها أبو عبد الله التميمي اختياراً لا ندري علامَ استند فيه؟! وتبعاً لأيّ قاعدةٍ كان؟!

وقد أجاد الرجل في توضيح معاني المادة اللغوية ،بل تعامل في ذلك على نحو لا نجده في كتب اللغة المتقدمة التي صنّفت في عصره إذ كان يوفي المادة حقّها ويكثر من الشّواهد للمعاني حقيقية كانت أمْ مجازية ومن معانيه ما لم نجده في المعجمات وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه هذا من جانب ومن جانب آخر فإنّ المفردات المئة والسبعين التي جاء بها على منوال عشرة أبي عمر زيادة عليها ، هي الأخرى ضرب من التأليف المعجمي فإذا راعينا منهج التصنيف الذي اعتمده صاحب اللسان على سبيل المثال فان تلك المفردات تدخل في باب العين وفصول الحروف الهجائية المختلفة. إذاً فالمادة اللغوية معجم مؤلف بطريقتين : طريقه تراعي الحرف الأول ، والأخرى تراعي الحرف الأخير.

((ولعلّ أهم ما انماز به الكتاب هو كثرة الشواهد وأنّ كثيراً منها لم نجده في المعجمات المختلفة ولا في غيرها في كتب اللغة المتشابهة الأمر الذي يشير إلى أنّه يستقي من طريق خاص مختلف فهل يعود بذلك إلى شيوخه المغاربة ؟ وهل كانتْ لهم مدرسة خاصّة لها شواهد خاصّة؟)).(٣٨)((والكتاب يكشف عن تنقل العلم من المشرق إلى المغرب والعكس فهو إنّما ألف معارضة لكتاب العشرات لأبي عمر الزاهد وهو بغدادي وأبو عبد الله قيرواني ، وقد نقل

منه ابن بنين كثيراً وابن بنين دمشقي مصري ، ويحتلّ مكانة مرموقة بين كتب اللغة التي الفتْ في زمانه وتناولتْ موضوعاته بل لعلّه يتقدم كثيراً؛ لحسن عرضه، ووفاء حده، وكثرة شواهده، وتقدم زمانه)) .(٣٩)

٣- مسلسل أبي الطاهر:

أمّا كتاب المسلسل لأبي الطاهر(ت ٥٣٨ هـ) فقد جاء في مقدمته:((وهذه المؤلفات الثلاثة على تفاوت الزمان والمعاني – يعني: المداخل وشجر الدر والمسلسل- تكون وحدة يتمم بعضها بعضا ويكون المسلسل منها ثالثة الأثافي فلا غنى عنه لتمام هذه المجموعة الثلاثية إذ هي في تنوع طرقها وتقدير أشكالها وترتيبها مع اتحاد موضوعها تمثل النشوء والارتقاء في تأليف الفنون العلمية وابتكار العلوم اللغوية)) .(٤٠)

((وكتاب المسلسل يحتوي خمسين باباً ليس لها عنوانات خاصة كما فعل المطرز أبو عمر الزاهد في كتابه (المُداخل) وإنّما بعدد الأبواب وقد تعمّد التّميمي (أبو الطّاهر) أنْ يفتح كلّ بابٍ ويختتمه بشاهدٍ شعري ويأخذ من الشاهد الأخير استشهاداً على معنى الكلمة الأخيرة في الباب)) .(٤١)((ويحلو لي أنْ أكرّرَ ما ذكرتُه كثيراً من أنّ المُداخل أو المُسلسل فنّ مبتكرٌ ، تدعو طرافته إلى دوام الإعلان عنه للمشتغلين بالأبحاث اللغوية كما أنّه يساعد المبتدئين في استظهار المفردات اللغوية بربطها بعضها ببعض)) .(٤٢)((وإذا كانت اللهجات والصوتيات تشغل الآن حيزاً من عناية الباحثين المحدثين ، فما أحرانا بأنْ نطلب إلى المعدّنين، والمنجّمين، والغوّاصين أنْ يفسحوا لفنّ التداخل ركناً من جهودهم ؛ طلباً للكشف عن مخبآ ته ، وغوصاً وراء لآلئه ، وحرصاً على اتقان دراسة باب الاشتقاق الواسع في لغتنا العربية)).(٤٣)

((ويجدر بنا أنْ نشير إلى أنّ ما يزعمه نفرٌ لأول وهلة من أنّ أمثال هذه الكتب هي للخواص أو (خاصتهم) قد يخطئ زعمهم التوفيق؛ فإنّني لا أزال آمل أنْ تصبح هذه المادة موضوع دراسة أساسية لبعض الطلاب في المعاهد ، فتحظى هذه الدراسة بشيءٍ من الإنصاف وذلك عندما تصبح الدراسة اللغوية جزءاً من مناهج الدراسة العامة وهذا الوقت قريب إنْ شاء الله)) .(٤٤)

٤- شوارد الصغاني:

أمّا أهمية كتاب الشوارد للصغاني (ت٦٥٠ هـ) فتتمثل في حفظه لكتب كانت موجودة بين يدي الصغاني ثمّ عفت آثارها،كما هي الحال في (القسم الثاني):((وهذا القسم أصغر من الأول وقد استقاه من(كتاب اللغات) ليونس بن حبيب(ت ١٦٠هـ) مفقود لا أثرَ له بهذا تظهر فائدة كتاب الشوارد ؛إذ انّه حفِظ لنا مادة لغوية جيدة لكتب كانت موجودة ثُمّ عفتْ آثارها)).(٤٥) ويعدّ (كتاب اللغات) من الكتب النادرة التي قدمت مادة لغوية أصيلة افتقدنا بعضها في معجمات اللغة التي بين أيدينا فقوله مثلاً:(تَقمّقَ: اشتكى).لم أقفْ عليها فيما توافر لديّ من كتب لغوية إلاّ في كتاب العُباب للصّغاني في مادة:(قَمقَ).

ونقلها الزّبيدي(ت١٢٠٥هـ) في التّاج وقال:((هكذا في العُباب وقد أهملتها الجماعة)).وقوله :((ابلُ فلان مَتال يعنون: لم تُنتج حتّى صافت)) فلفظة:(مَتال) لم أطّلعْ عليها فيما توافر لي من معجماتٍ)).(٤٦)

أمّا في(القسم الثالث): فيما تفرد به أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨هـ) فهذا هو أصغر الأقسام الأربعة وقد ذكره صاحب كشف الظنون وسمّاه :(كتاب المزال والمفسد)لأبي حاتم و بروكلمان)الترجمة العربية:(باسم (إصلاح المفسد والمزال (،وذكره العيني في شرح الشواهد الكبرى و سمّاه :(إصلاح المفسد)، وهذا الجزء الصغير استقاه الصغاني من كتابه المذكور وهو على صغر حجمه يوضح لنا جانباً من المنهج الذي سلكه السجستاني (ت ٢٤٨هـ) في تأليف هذا الكتاب ؛ فعوادي الزّمن لم تبق منه شيئاً ، وما حفِظه الصّغاني هنا مكسبٌ لغويٌ كبير.(٤٧)

أمّا في (القسم الرابع) :(المجموع من سائر كتب اللغة وشرح شوارد الأشعار)،فهذا هو القسم الأكبر من الشوارد.

وقد أشار الصّغاني إلى كتبٍ لغويّةٍ قيّمةٍ ،تهيّأ لقسمٍ منها البقاء إلى زماننا هذا ، واندثرتْ معالم أخرى كما نهل من كتب لم يشرْ إليها. فمن الكتب التي سماها :

١- (كتاب معاني الشعر) لابن السراج(ت٧٢٠هـ) ومعاني الشعر من الكتب المفقودة التي لا

نعرف عنها شيئاً؛حفظ بهذا الصغاني أصلاً لغوياً جيداً .

٢- (كتاب المقصور والممدود) للأصمعي (ت ٢١٦هـ) وهو أيضاً من الكتب المفقودة.(٤٨)

وتظهر أهمية كتاب الشوارد هذا بحفظه لهذه المادة اللغوية التي فقد أكثرها ،وضاع؛ نتيجةً لعوادي الدهر، والتي كانت بين يدي الصغاني وقت تأليف هذا الكتاب.(٤٩)

الخاتمة:

إنّ أبا عبد الله التميمي (ت ٤١٢ هـ) في كتابه (العَشرات في اللغة) عارض أبا عمر الزاهد في كتابه (العشرات في غريب اللغة) عشرة واحدة هي في باب: (المَثْعِ) أمّا سائره فهو من المشترك اللفظي إذ ذكر مفردات على معظم حروف المعجم بادئا بباب: (الهمزة)مادة :(الآل) منتهياً بباب(الياء) مادة:(اليسر) .

إنّ أبا الطاهر(ت ٥٣٨ هـ) في مسلسله جعله في خمسين باباً وافتتح كلّ بابٍ منها بشعر عربي ثمّ ختم الباب بمثل ذلك .

أمّا الصغاني (ت٦٥٠ هـ) في شوارده فقد قسمه على أربعة أقسام .

ففي كتب غريب اللغة تكرار للمفردات اللغوية لكن بصور مختلفة إلاّ الصغاني في شوارده لم يكرر شيئاً من المفردات الشاردة .

وفيها وضوح في الأسلوب على الرغم من غرابة الألفاظ إلاّ مسلسل أبي الطاهر فهو موغل في الغرابة ، وكذلك الصّغاني .

وفيها شواهد من القرآن والحديث والشعر وأقوال العرب وأمثلتها.ولكن استشهادهم بالشّعر كان الدعامة الأولى في كتبهم ، ويليه في المرتبة الثانية القرآن الكريم ، ويليه في المرتبة الثالثة الحديث النبوي الشّريف ،ومن ثمّ القراءات القرآنية ولا سيما عند الصّغاني.

إنّ عمل المحققين في مجال كتب غريب اللغة عملٌ مشكورٌ عليه ؛لأنّه عمل شاقّ حقّاً،ولكن هناك مآخذ تؤخذ على محقّق كتاب المُسلسل وعلى محقّق كتاب الشَوارد ؛ فكان عليهما أنْ لا يقعا فيها .

وأمّا الذي يؤخذ على محقق المُسلسل في غريب لغة العرب الأستاذ محمد عبد الجواد فأنّه لم يذكر في دراسته لهذا الكتاب كيفية انتقاء أبي الطاهر للمواد اللغوية ولم يقلْ شيئاً عنْ عدم نسبة أبي الطاهر للمواد اللغوية إلى رواتها الذين أخذ عنهم،وكذلك يؤخذ عليه عدم تخريج الآيات القرآنية في الحاشية ولم يجعلها في فهارس الكتاب كما يؤخذ عليه عدم تخريجه الأبحر الشعرية أو الأمثال العربية ولو أنّها قليلة.

وأمّا محقق الشَوارد في اللّغة عدنان الدوري فيؤخذ عليه عدم تخريجه الأبحر الشعرية.

وأمّا بالنسبة إلى محقّق كتابي العَشرات :(العَشرات في غَريب اللغة) ،و(العَشرات في اللغة)؛ الأستاذ يحيى عبد الرءوف جبر فانّه أجاد في تحقيقهما إجادةً جعل الله له من هذه العشرات حسناتٍ في ميزان أعماله آمين .

وآخر دعوانا أنِ الحمد للهِ ربِّ العالمين.

الهَوامش والتعليقات:

١- عشرات التميمي: ١٥

٢- عشرات الزاهد:٢٧.وينظر:الغريب المصنف في اللغة/ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).

٣-عشرات التميمي: ١٥،وينظر: ٢٧-٢٨.

٤-المصدر نفسه: ٢٥.

٥-المصدر نفسه : ١٥،وينظر: ٢٦-٢٧.

٦-المصدر نفسه: ١٦.

٧-المصدر نفسه: ١٦.

٨-المصدر نفسه: ١٦-١٧.

٩-المصدر نفسه: ١٧،وينظر: ٢٦؛قال المحقق:ولا مستحباً من التصنيف ؛وفي الكتاب،ولا

مستطرفاً من التصنيف.ينظر: مقدمة المحقق.

١٠- المصدر نفسه: ١٧، وينظر: مقدمة المحقق.

١١- المسلسل: ٣٤-٣٥ .

١٢-المصدر نفسه: .٣٦

١٣-المصدر نفسه: .٨

١٤-المصدر نفسه: .٣٦

١٥-المصدر نفسه: .٥

١٦-الشوارد: ٨٧.،وينظر :قول السيوطي في المزهر:١ | .٢٣٤

١٧-المصدر نفسه:.٨٨

١٨- عشرات الزاهد:٢٠و ينظر: مقدمة المحقق.

١٩-المصدر نفسه: ٢٠وينظر: مقدمة المحقق.

٢٠-المصدر نفسه:٨٦.-.١٩

٢١-المصدر نفسه:٨٢-.٢٠

٢٢-عشرات التميمي: ١٦.-٢١.

٢٣-المصدر نفسه:٣٧.-.٢٢

٢٤-المصدر نفسه:٣٧.-٢٣.

٢٥-المصدر نفسه:٢٠.-.٢٤

٢٦-المصدر نفسه:١٧.-٢٥وينظر: مقدمة المحقق.

٢٧-الشوارد::٩٠-٩١.-٢٦

٢٨-المصدر نفسه:٨٩-٢٧.ينظر: مقدمة المحقق وتفسير البحر المحيط / لأبي حيان بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) .

٢٩-المصدر نفسه:٨٩-٢٨.وينظر: مقدمة المحقق.

٣٠-المصدر نفسه:٩٩.-٢٩.وينظر: مقدمة المحقق.

٣١-المصدر نفسه: ٨٩ -٣٠. سورة الشعراء:الآية:٤٨.

٣٢- المصدر نفسه: ٨٩.وينظر: مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع / لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) .

٣٣-عشرات الزاهد : ٢٠،وينظر: ٨٨ و ينظر:ليس في كلام العرب /لا بن خالويه (ت٣٧٠ هـ)

٣٤-المصدر نفسه:١٧.

٣٥-عشرات التميمي: .١٥

٣٦-المصدر نفسه:٢١.وينظر: معجم البلدان .

٣٧-المصدر نفسه:١٨،وينظر:الباب الأول: ٤٥-٤٧؛عند الحديث عن الزَوْل ،وباب البَرْد:ص:١١٤،١١٥.وينظر :معجم البلدان.

٣٨-المصدر نفسه:٢٠.وينظر: مقدمة المحقق.

٣٩-المصدر نفسه:٢١. وينظر: مقدمة المحقق.

٤٠-المسلسل: ٥.ينظر: مقدمة المحقق.

٤١-المصدر نفسه:٥

٤٢-المصدر نفسه: ٩. وينظر: مقدمة المحقق.

٤٣-المصدر نفسه: ٩.

٤٤-المصدر نفسه: .٩

٤٥-الشوارد: .٩٢

٤٦-المصدر نفسه: ٩٢-٩٣.ينظر: كتاب العباب للصغاني (ت ٦٥٠هـ) في مادة: (قَمْقَ). ونقلها الزبيدي(ت١٢٠٥هـ) في التاج وقال :((هكذا في العباب ، وقد أهملتها

الجماعة)).

٤٧–المصدر نفسه:٩٧و ينظر : صاحب كشف الظنون ذكره :٢–١٤٥٨ وبروكلمان: : ٢–١٦ (الترجمة العربية (وذكره العيني في شرح الشواهد الكبرى : ٤–١٧.

٤٨–المصدر نفسه:١٠٠.-.٤٦

٤٩–المصدر نفسه:٨٨-٤٧.

مصادر البحث:

(ت)

– تفسير البحر المحيط / لأبي حيان بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) / دار الفكر / بيروت / ط/٢ / ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

(ش)

– الشّوارد في اللغة / لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠هـ) / تحقيق : عدنان عبد الرحمن الدوري / مطبعة المجمع العلمي العراقي / ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(ع)

– العَشرات في غريب اللغة / لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (ت ٣٤٥هـ) (برواية : ابن خالويه) / تحقيق : د. يحيى عبد الرءوف جبر / ط/١: ١٩٨٤م .

– العَشرات في اللغة / لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القزاز القيرواني (ت٤١٢هـ) تحقيق : د. يحيى عبد الرءوف جبر / ط/١ : ١٩٨٤م .

(غ)

– الغريب المصنف في اللغة/ لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤ هـ) تحقيق :رمضان عبد التواب/مكتبة الحديثة /١٩٩٨/٢/٣٠م.

(ك)

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة / بيروت – لبنان .

(ل)

– ليس في كلام العرب /الحسين بن أحمد بن خالويه(ت ٣٧٠ هـ)تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار/مكة المكرمة/ط/٢ ١٣٩٩ –١٩٧٩م .

(م)

– مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع / لابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) عني بنشره ج برجشتراسر / مطبعة الرحمانية – مصر : ١٩٣٤م .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها:لجلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ) طبعه محمد سعيد الرافع صاحب المكتبة الأزهرية–مط– السعادة بمصر–١٣٢٥ هـ

– المُسلسل في غريب لغة العرب:أبو الطّاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي (ت:٥٣٨ هـ)تحقيق :محمد عبد الجواد،الجيزة–مصر ،١٣٧٧ –١٩٥٧م.

– معجم البلدان / لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) / دار صادر – بيروت.

– المُنتخب من غريب كلام العرب / لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل (ت ٣١٠هـ) / تحقيق : د. محمد بن أحمد العمري / جامعة أم القرى – مكة / ط/١ : ١٩٨٩م .